روائع القصص العالمية

كتاب الأدغال

رودیارد کیپلنغ

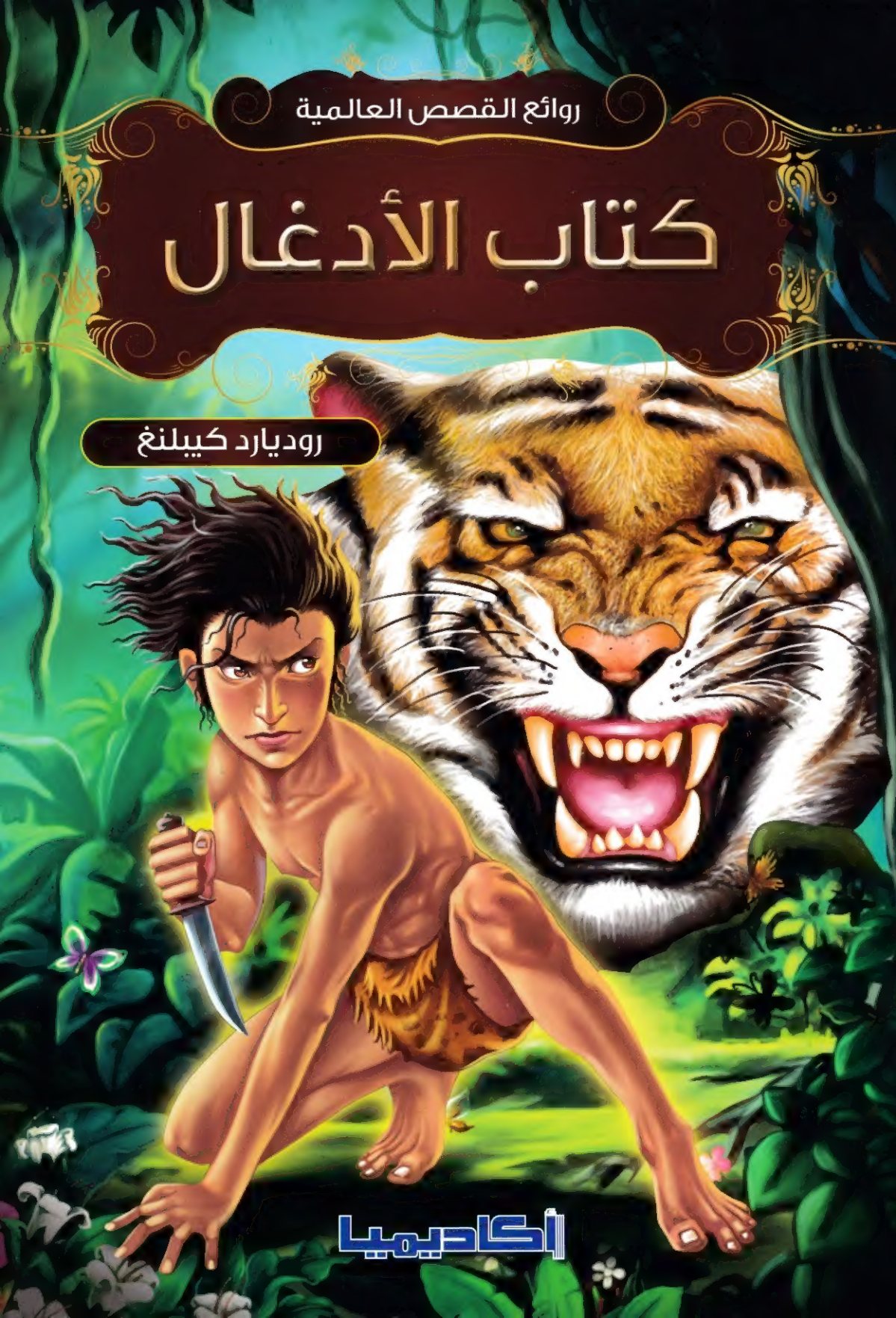

أكاديميا

روائع القصص العالمية

كتاب الأدغال

إعداد

ماغالي الحاج

أكاديميا
بيروت - لبنان

كتاب الأدغال

حقوق الطبعة العربية © أكاديميا إنترناشيونال، 2017
ISBN: 978-9953-37-938-8

جميع الحقوق محفوظة
All Rights Reserved

الناشر

أكاديميا إنترناشيونال
فردان، شارع رشيد كرامي
بناية بنك بيبلوس، ط8
ص.ب 113-6669
بيروت 2140 1103 لبنان

Academia International
Verdun,Rashid Karameh St.
Byblos Bank Bldg., 8th Fl
P.O. Box 113-6669
Beirut 1103 2140 Lebanon

هاتف Tel. (+961 1) 800811 - 862905 - 800832
فاكس Fax (+961 1) 805478

بريد إلكتروني E-mail academia@dm.net.lb
info@kitabalarabi.com

www.academiainternational.com
www.kitabalarabi.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال ش.م.ل.
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International S.A.L.

المحتويات

موغلي يكتشف عائلته..... 4

موغلي ذئب سيوني 8

موغلي يترك الأدغال..... 11

موغلي والقرود 15

عودة موغلي 18

قصّة الفُقمة البيضاء..... 24

ريكي-تيكي-تافي 30

كالاناغ وتوماي الصغير 36

حيوانات المخيّم 42

موغلي يكتشف عائلته

في ليلةٍ دافئةٍ على هضابِ سيوني، استيقظَ الذِّئْبُ الأبُ في كَهْفٍ وقال: «حانَ وقتُ الصَّيْد.» وكانت الذِّئْبةُ الأُمُّ مُمدّدةً بين صغارِها الأربعةِ التي كانتْ تعوي.

كان الذِّئْبُ الأبُ على وشْكِ الخُروجِ حين لمحَ تاباكي، ابن آوى، يقتربُ منه. قال له هذا الأخير: «صَيْدٌ مُوفَّقٌ يا شيخَ الذِّئاب! آمُلُ أن تصيرَ أسنانُ أولادِك قويّةً مِثْلَ أسنانِك فيصطادون جيِّدًا على غِرارك.»

عرفَ الذِّئْبُ الأبُ أنّ تاباكي جاءَ بَحْثًا عن الطَّعام، فقال له: «ادْخُلْ إذًا وابْحَثْ. ولكنْ لن تجدَ ما تأكلُه هنا.» وشاءتِ الصُّدْفةُ أن يعْثُرَ تاباكي على عَظْمةٍ فأخذَها وراح يَمْضَغُها. ثمّ شكرَ الذئبَ الأبَ وقال له: «لقد غَيَّرَ شيرخانُ أرْضَ صَيْدِه. سَيَنْتقِلُ إلى الصيدِ على هذهِ الهضاب.»

كان شيرخانُ نَمِرًا كبيرًا، أَعْرَجَ، يشتهرُ بمُطارداتِه الكبيرة. لا يُحِبُّه أحد. وكانت شريعةُ الغابِ تفرضُ على كُلِّ حيوانٍ يُغَيِّرُ أرضَ صَيْدِه أنْ يُعْلِمَ بقيّةَ الحيواناتِ التي تعيشُ هناك، إلاّ أنّ هذا النَّمِرَ لم يُنْذِرْ أحَدًا خارِقًا بالتالي القاعِدَة، لذلك غَضِبَ الذِّئْبُ الأبُ.

فجأةً، سُمِعَ ضجيجٌ صاخِبٌ في الأدغالِ الواقعةِ تحت الصَّخْرَةِ العاليةِ التي تقعُ فيها مغارةُ الذئب. نظرَ الذئبُ الأبُ إلى الأسفلِ فرأى شيرخانَ يُطاردُ جَرْوًا يُشْبِهُ الإنسان.

غضِبَ الذئبُ الأبُ كثيرًا لأنّ صَيْدَ إنسانٍ «ضعيف» يُعتبر خَرْقًا لقوانين الغابة، ولا يُسْمَحُ به إلاّ خارِجَ حُدودِ الغابةِ وفي حالاتٍ استثنائيّةٍ فقط. فَقَتْلُ إنسانٍ يُؤَدّي إلى مَوْتِ كُلِّ الحيواناتِ على يَدِ الصَّيّادينَ وبَنادِقهم. لِهَذا السَّبب، تُحَرِّمُ شريعةُ الغابِ الانْقِضاضَ على النّاس.

تَحَضَّرَ النَّمِرُ لصيدٍ جديدٍ ولكنّه حَرَقَ ساقَه بنارِ الحَطَبِ فصاح متألّمًا. بعد ثوانٍ قليلةٍ تحرّكَ شيءٌ بين الشُّجَيْراتِ قُرْبَ جُحْرِ الذِّئاب.

«هُناك من يَصْعَدُ الهَضْبَة،» قالتِ الذئبةُ الأُم. «ابْقَ مُسْتَعِدًّا!»

اقتربَ الذئبُ الأبُ من الشُّجَيْراتِ لِيَتَحَقَّقَ مِمّا يجري، فتفاجأَ عندما رأى طِفْلاً ظريفًا ينامُ بين الشُّجَيْرات! يُغَرْغِرُ ضاحِكًا وعيناهُ لا تَعْكِسان أيّةَ علامةِ خَوْف.

«وَلَدُ إنسان!» قال الذئبُ الأبُ مدهوشًا. ثمّ حَمَلَ الطفلَ إلى داخلِ الكَهْفِ ووضعَه مع صِغارِه. أَسْمَتْهُ الذئبةُ الأُمُّ «موغلي».

بعد ذلك أتى شيرخانُ مُطالبًا بالولد، فقالَ له الذئبُ الأبُ إنّ الطفلَ لهم.

«أَطْلُبُ أن تُعطوني الطِّفْلَ،» قالَ شيرخانُ مُزْمْجِرًا.

عندئذٍ أجابَتِ الذئبةُ الأُمُّ بغَضَب: «أنا راكشا. الإنسانُ الصغيرُ هو لي. سيعيشُ مَعَنا، ويركُضُ معنا، وذات يوم سيصطادُكَ!»

كان شيرخانُ يعلمُ أنَّ الذئبةَ الأُمَّ خطيرةٌ، فتراجعَ وزَمْجَرَ قبل أن ينصرفَ: «أيُّها اللصوصُ ذوو الذيولِ الكثيفة، فَلْنَرَ ماذا تقولُ العَشيرةُ.»

قال الذئبُ الأبُ :«صحيح. يجِبُ أن نُرِيَهُ للعَشيرة.»

موغلي ذئب سيوني

كانت القوانينُ تقضي بأنّ على الذئابِ المُسِنَّةِ أن تتفقَّدَ الجِراءَ الجديدةَ لكي تَتَعَرَّفَ إليها وتَحْمِيَها في الغابة.

لذا، أخذَ الذئبُ الأبُ صِغارَه وموغلي إلى اجْتِماعِ العشيرة. وكان كبارُ الذئابِ يتفقّدون عدّةَ جِراءٍ جديدة.

كان «أكيلا» يقفُ على صخرة، فهتف: «انْظُروا جيّدًا. تَعْرِفون القاعدَة!»

جلستِ الأُمَّهاتُ مع صغارِها في الوَسَطِ وأخذت الذئابُ تتقدّم للتعرّفِ إلى كُلِّ جَرْو.

حين دفعَ الذئبُ الأبُ موغلي إلى الأمام، اعترضَ شيرخانُ وهو يطوفُ حَوْلَه: «الولدُ الصغيرُ لي!» وأخذ ذئبٌ آخر يتساءلُ عن وجودِ موغلي بين الجِراء.

تفرضُ شريعةُ الغاب، في حالِ غيابِ توافقٍ على قُبولِ جَرْوٍ في العشيرة، أن يُصَوِّتَ اثنانِ من غيرِ أهلِه على الأقلِّ لصالِحِه.

سألَ أكيلا: «مَنْ سَيُصَوِّتُ لصالحِ هذا الصَّغير؟»

وقف بالو، وهو الدُّبُّ الذي يُعَلِّمُ الصِّغارَ شريعةَ الغاب، وقَهْقَه: «أنا أتكلّمُ بالنِيابَة عنه. اسْمَحوا له بالانْضِمام إلى العشيرةِ.»

«نَحْتاجُ إلى رأيِ آخرَ،» صاحَ أكيلا.

فهتَفَ النَّمِرُ الأسودُ، باغيرا، الذي يُعَلِّم الصِّغارَ مَهاراتِ الأَدْغال: «في حالِ التَّرَدُّدِ بشأنِ حَقِّ انْضِمامِ صغيرٍ إلى العشيرة، يُمْكِنُ أن نشتريَ حياتَهُ مُقابِلَ سِعْرٍ مُعَيَّن. أليسَ كذلك؟»

«بلى،» ردّدت العَشيرة.

«إذن، سَوْف أُضيفُ اللَّحْمَ الطازَجَ، إذا قَبِلْتُم انضمامَ موغلي إلى العَشيرة؟»

عندئذٍ صاحتِ الذئابُ: «فَلْيَنْضَمَّ إلى العشيرة. فأيُّ أذًى يُمْكِنُ أن يُسَبِّبَهُ إنسانٌ صَغير؟»

وهكذا، صارَ موغلي عُضْوًا في عَشيرة ذئابِ سيوني. تَمَلَّك شيرخانُ غضبٌ شديدٌ وتوعَّدَ بقتلِه يومًا ما.

موغلي يترك الأدغال

انْقَضَتْ عشرةُ أعْوام كان موغلي خلالها يَكْبُرُ ويَنْمو مع باقي الذِّئاب، ويتعلَّمُ على يدِ بالو وباغيرا. وكان يعرفُ الأدغالَ عن ظهرِ قلب. فاكتشفَ يومًا أنّ ما من حيوانٍ يُمْكِنُهُ أن يَنْظُرَ إليه عَيْنًا لِعين، فراحَ يتسلّى بالتحديقِ إليهم. ولمّا أخبرَهُ باغيرا أنّه اشْتراه مُقابِلَ لحمِ ثَوْر، أقسمَ موغلي ألّا يقتلَ أبدًا أيَّ حيوانٍ من قطيع الثيران.

حذّرتِ الذئبةُ الأمّ موغلي من شيرخان. فقد كان أكيلا يتقدّمُ في العُمُرِ وشيرخانُ ينسجُ صداقاتٍ بالحيلة مع جِراءِ تَتْبَعُهُ كي تحصلَ على بقايا صيدِه. وكانتْ هذه الذئابُ الصغيرةُ تغارُ من موغلي وتخافُ منه. وحين كرّرَ باغيرا التحذيرَ إلى موغلي، ضحِكَ موغلي وسألَ: «برفسةٍ من قدمِ بالو ودَعْمِ العشيرةِ كُلِّها، كيف سيتجرّأُ شيرخان على مُواجهتي؟»

«ليس في الأدغالِ وإنّما خارجَها. فإلى متى سيبقى أكيلا قائدًا؟ لقد قال شيرخانُ للأشبالِ إنّك إنسانٌ وبالتالي لستَ عُضْوًا في العشيرة،» أجاب باغيرا.

«أبدًا! أنا أخوهُم وقد ركضتُ معهم،» قال موغلي بإصْرار.

أردفَ باغيرا قائلًا: «الجميعُ لا يخافونَ منكَ. سيقتلونك إن بقيتَ هُنا. أنت مُتَهوِّر. ولكن عندي فكرة. اجلبِ الوردةَ الحمراءَ التي يستعمِلُها الإنسانُ في الليل. أظنُّ أنَّ أكيلا سيفشلُ في صيدِهِ المقبلِ فيتمُّ عَقْدُ مجلسٍ جديدٍ ينقلِبُ ضدَّه وضدَّك. ستجدُ في الوردةِ الحمراءِ صديقًا قويًّا تعتمدُ عليه.»

«صحيح، فهي تنمو في جِرارٍ صغيرةٍ أمامَ أكواخِ الناسِ عند غُروبِ الشَّمْس. سآتي بها،» قال موغلي.

انصرفَ موغلي ليَبْحَثَ عن الوردةِ الحمراءِ. والواقعُ أن الوردةَ الحَمْراءَ ليست سوى 'النار'. وفيما هو في طريقِه، سَمِعَ جَلَبَةَ العشيرةِ وهي تصطادُ. وبدا جليًّا من الأصواتِ

أنّ أكيلا أخفقَ في صيدِه. فأدركَ موغلي أنّ الوقْتَ يُداهِمُه.

بعد قليلٍ وصلَ موغلي إلى القرية. التصقَ بنافذةِ كُوخٍ يُراقبُ امرأةً تُطْعِمُ الوردةَ الحمراءَ كُتَلاً سوداء. وفي الصَّباحِ، كان ولدٌ صغيرٌ يضعُ القِطعَ في وعاءٍ من الخُوصِ المُجَصَّص. 'الأمر بغاية السهولة،' دَمْدَمَ موغلي في نفسه، ثمّ انتزعَ وِعاءَ النارِ من الوَلَدِ وهَرَب.

«يجبُ أن أُطْعِمَها،» قالَ موغلي وهو يرمي بعضَ الأغْصانِ اليابسةِ في الوِعاء. وقد لاحظَ أيضًا أنّ سُكّانَ القريةِ يُشْبِهونَهُ كثيرًا. وحين صَعَدَ إلى مُنْتَصفِ الهَضْبَة، التقى بباغيرا الذي أخبرَهُ أنّ أكيلا فوَّتَ فريسةً، ممّا يَعْني أنّه أمسى في دائرةِ الخَطَر.

«لستُ خائفًا! أملكُ الوردةَ الحمراء،» صاحَ موغلي.

ظلَّ موغلي يُطْعِمُ الوِعاءَ طَوالَ النَّهار. ثم ذهبَ حاملًا الوِعاءَ بيديه إلى حضورِ اجتماعِ المجلس.

لَمْ يَعُدْ أكيلا القائد. صار شيرخان يتنقّلُ بحماسةٍ وحولَه مجموعةٌ من الذئابِ اليافعة.

جلسَ باغيرا وموغلي معًا – ووِعاءُ النارِ بين رُكْبَتَي موغلي.

أمرَ شيرخانُ بتسليمِ موغلي إليه. وأصرَّتْ بعضُ الذِّئابِ الصغيرةِ على إعادةِ موغلي إلى البَشَر. أما أكيلا وباغيرا فقد أخذا يُدافعان عن موغلي.

وقفَ موغلي حامِلاً وعاءَ النارِ بيدَيْهِ وهو يشعرُ بغضبٍ وحُزْنٍ عميقٍ لأنّه عرفَ إلى أيِّ درجةٍ تكرهُه بعضُ الذئاب. ثم صرخ: «أنا إنسان. هذا صحيح! لستم إخْوَتي، إنّكم كلاب! أترَوْنَ هذه الوردةَ الحمراء؟ من الآنِ فصاعدًا، أنا أقودُكم !»

ثمّ قرّبَ موغلي الوعاءَ المُشْتَعِلَ من رأسِ شيرخان ولذَعَهُ به قليلاً.

«تُريدُ أنْ تَقْتُلَني؟ حاولْ أن تتحرَّكَ فَأُغْرِزَ الوردةَ الحمراءَ في حَلْقِك. اذهبِ الآن! ولكنّي حين أرجعُ، سَأَكْتَسي بجلدِك! سيذهبُ أكيلا بمِلْءِ حُرِّيَّتِه، تلك هي مَشيئتي!»

راح موغلي يُوَرْجِح الوعاءَ المشتعلَ شمالاً ويميناً حتّى هرَبَ الجميعُ، ما عدا أكيلا وباغيرا وعشرةُ ذئابٍ أخرى.

أحسّ بقلقٍ يتملّكُه ويدفعُه إلى البُكاء. ثم قرَّرَ الذهابَ إلى القرية لأنه أدرك أنّه يَنْتَمي إليها. بعد ذلك ذهبَ ليلتقيَ بالذئبةِ الأمّ ثم وَدَّعها وودَّع إخْوَتَه والدمعُ ينهمرُ من عَيْنَيْه. وَعَدَهُ إخْوَتُه بزيارتِه في الليل. أمّا الذئبُ الأبُ والذئبةُ الأمّ فطلبا منه العودةَ قريبًا، لأنّهما يتقدّمانِ في السنّ.

موغلي والقرود

عند الفَجْرِ، سلكَ موغلي طريقَ القرية.

في طريقِه إلى القريةِ، غَرِقَ موغلي في ذِكْرَياتِه. فقد علّمه بالو كلَّ حِيَلِ الحِمايَةِ والاخْتِباء من الحيوانات الأخرى. كما حفِظَ الكلماتِ الأساسيّةَ التي تُمَكِّنُهُ منَ التواصُلِ مع باقي الحيَوانات.

تلقّى نصائحَ بشأن عدم التحدّث إلى شعب القرود – عشيرةِ بندرلوغ. فقد كانوا خارجينَ عن القانون، مَنفيِّينَ وغيرَ محبوبين؛ لا لغة لهم ويَستعملونَ كلماتٍ يَسمعونها مُصادفَة. شعبُ القُرودِ شرِّيرٌ جدًّا. إن عَثَرَ على حيوانٍ مريضٍ عذّبه بدافِعِ المُتْعة.

لم يَكُنْ بالو وباغيرا على عِلْمٍ بأنّ القرودَ تستمعُ إلى كُلِّ ما يقولانِ لموغلي. غَضبتِ القرود وراحت ترمي البُنْدُق والأغصانَ عليهما. أرادَتْ أن تأخذَ موغلي لأنّه يعرفُ كيف ينسجُ القصبَ للحِمايَةِ من الرِّياح، ويُمْكِنُهُ أن يُعَلِّمَها هذا الفنّ.

حين غفا موغلي، خطفَتْه القرودُ. وفشِلَ بالو وباغيرا في رَدْعِها. وكان 'ران' العصفورُ يطيرُ فوقَه. اقتربَ من القُرودِ ليعرفَ ما تَحْمِل، فناداه موغلي وطلبَ منه أن يُخْبِرَ بالو وباغيرا عن مَكانه.

فكّر بالو وباغيرا بطريقة لإنقاذِه. «إنَّ القرودَ تخافُ من ثُعبانِ الصَّخْرَةِ، كاه. فلنأتِ به للمساعدة،» اقْتَرَحَ بالو.

وافقَ كاه على مساعدةِ بالو وباغيرا. عندئذٍ طارَ ران لينقُلَ الرسالةَ إلى موغلي. وقال إنّ موغلي في 'الكهوف الباردة'، وهي مدينةٌ مُدَمَّرَةٌ ومهجورةٌ تقعُ في وَسَطِ الأدغالِ الكثيفة. تقدّمَ الثلاثةُ لإنقاذِ موغلي.

كانت القرودُ تُعذّبُ موغلي في الكهوف الباردة. فاستنتجَ موغلي أنّ كُلَّ ما أخبرَهُ بالو وباغيرا عن القُرود صحيح.

في الليل، حجبتْ غيمةٌ القمرَ ونورَه. وكان باغيرا وكاه ينتظرانِ هذه اللحظةَ في أسفلِ الكُهوف الباردة. فتسلَّلا إلى الداخِل وتقاتلا مع القُرودِ بعد أن انضمَّ إليهما بالو. بثّ كاه الرُّعْبَ في قُلوبِ القرودِ كلّها.

شكرَ موغلي كاه لإنقاذِه وأكّدَ له أنّه سيوفّرُ له الطعامَ ويُحَرِّرُهُ من الأَفْخاخِ إنْ لزِمَ الأمر. قَبِلَ كاه الشكرَ وطلبَ منه الابتعادَ لكي يتمكّنَ من إنهاءِ القِتالِ مع القُرود.

عندَها حَمَلَ باغيرا وبالو موغلي ونقلاه إلى كوخه.

عودة موغلي

نعودُ الآن إلى اللحظة التي واجهَ فيها موغلي العشيرةَ وترك صخرة المجلسِ وتوجَّه نحو القريةِ في الوادي.

وحينَ وصلَ، جلسَ أمامَ البوّابة. مرَّ رجلٌ فوقفَ موغلي وفتحَ فاهُ وأشارَ إليه بأنّه يريدُ شيئًا يأكلُه. نظرَ الرجلُ إلى موغلي وهبَّ لمناداةِ الكاهِن. وصلَ رجلٌ كبيرٌ يرتدي رداءً أبيضَ ومعه حوالي مئةِ شخص. نظروا بدَوْرِهم وتكلّموا وأشاروا بأصابِعهم صَوْبَ موغلي الذي بقيَ عابسًا.

قالَ الكاهنُ: «إنّه ولدُ ذئبٍ. انظُروا إلى العلاماتِ على ذراعَيْه وساقَيْه.»

«يا مَسْوَا، إنه يُشبِهُ ابنَك الذي خطفَه النَّمِرُ،» هتفَتِ امرأةٌ إلى أُخرى اسمها مَسْوَا.

نظرَتْ مَسوا إليه وقالتْ إنّه فقَدَ الكثيرَ من وَزْنِه. ولكنَّها أكّدتْ أنّه يُشْبِهُ ابْنَها. فأخذَتْه إلى منزِلِها نزولاً عند طلبِ الكاهن.

تَبِعَها موغلي بهدوءٍ حتّى بيتها. وهناك، أعطتْهُ مَسْوَا حليبًا وخُبْزًا ليأكُلَ ويشرب. إلاّ أنّ موغلي تضايقَ بسببِ وجودِهِ داخلَ بَيْتٍ، ولذلك كانَ في الليلِ يخرجُ وينامُ في الحَقْل.

بعد وَقْتٍ قصيرٍ، أتى الأخُ غراي (وهو كبيرُ جِراءِ الذئبةِ الأمّ) لزيارةِ موغلي. أخبره أنّ شيرخانَ مُصَمِّمٌ على قتْلِه ووعدَه بزيارَتِهِ كُلَّ مَساء.

في الأشهرِ الثلاثةِ التاليةِ تعلَّمَ موغلي سُلوكَ الناس. وصارَ يرتدي الثيابَ ويتعاملُ بالمالِ ويعملُ في الحَقْل. ولكنّه لم يرَ جَدْوَى في كُلِّ ذلك.

وغالبًا ما كانَ موغلي يجلسُ في ظلِّ شجرةِ تينٍ ويستمعُ إلى صَيّادٍ من القرية، اسمه بالديو، يروي لَه قِصَصًا طويلة. كان يختنِقُ من الضَّحِكِ عندَ كلِّ قِصّةٍ مُبالَغٍ فيها. وفي أحدِ الأيّام، سَخِرَ موغلي من بالديو عندما أخبرَه مُغامرةً غيْرَ واقعيّة. فعاقبَه هذا الأخيرُ عِقابًا يقضي برعي قَطيعِ الأبقارِ. فصارَ يبقى في الخارج من الصباح حتّى المساء.

في هذا الوقتِ، كان يلتقي كثيرًا بالأخ غراي.

ذاتَ يوم، سألَهُ موغلي: «ما هي آخرُ أخبارِ شيرخان؟»

«لقد عادَ وانتظرك طويلاً. لكنه ذهبَ مرّةً أُخرى وهو مُصَمِّمٌ على قَتْلِك.» قال الأخُ غراي.

فقالَ موغلي: «طالما أني أراك على الصَّخْرَةِ الكبيرةِ عند مَخْرَجِ القرية، أعرفُ أنّ شيرخانَ بعيدٌ. وإذا أتى يومٌ ولم أشاهدْكَ هُناك، أعرفُ أن شيرخان قد عاد.»

مَرَّتِ الأيام، وبقيَ مُحافِظًا على عادةِ رَعْيِ القطيعِ. من جهة ثانية، بقيَ الذئبُ يَسْهَرُ على الصَّخْرَة. ولكن، ذاتَ ليلةٍ، لم يلْمحْ موغلي الذئبَ هُناك. فَهِمَ الرسالةَ فورًا وذهبَ إلى لِقاءِ الأخ غراي.

أنْذَرَه الأخُ غراي أنّ شيرخانَ قد عادَ وأنّه يبحثُ عنه.

بقِيَ في وَضْعِ التَّأهُّبِ، مُنْتظِرًا في الوادي العميقِ والجافِّ في واينغونغا. وضع الاثنانِ خُطّةً للإيقاعِ بشيرخان في وَسَطِ القَطيع. وانْضَمَّ إليهما أكيلا أيضًا.

فرّقَ الذئبانِ القطيعَ من جِهَتَيْن. فقادَ الأخُ غراي البقراتِ إلى قَعْرِ الوادي بينما أخذَ أكيلا الثيرانَ إلى القِمَّة. وكانتْ خُطّةُ موغلي سهلةً. فقد أرادَ أن يسحَقَ شيرخان بين البقراتِ والثيران. وهذا ما حدث. وضعَ موغلي يدَه على فمِهِ وصاحَ في الوادي.

«منِ الذي يصْرُخُ؟» سأل شيرخان.

استدارَ نحو الصوتِ وهو لا يعرفُ أنّه وقَعَ في الفخّ. وسُرْعانَ ما هبَّتِ البقراتُ والثيرانُ من الجِهَتَيْنِ وداسَتْ شيرخان. تلك كانتْ نهايةُ النمرِ الكبير.

في هذا الوقت، رأى بالديو القطيعَ يركضُ بوَحشيّة فهرعَ يؤنّب موغلي. وحين شاهَدَ النَّمِرَ ميتًا، حاول أن يَسْتَقوِيَ على موغلي ويأخذَ النمرَ بعيدًا.

فأمرَ موغلي أكيلا بمراقبةِ بالديو فيما كان يسلخُ جلدَ الحيوان.

انتصبَ أكيلا أمام بالديو الذي كان مُقْتَنِعًا أنّ ما يحصُل هو شعوذة، خصوصًا بعدما توسَّل إلى موغلي لإطلاقِ سراحه. استجاب أكيلا ردًّا على طلب موغلي فأسرَع بالديو إلى القريةِ صائحًا: «هذه شَعْوَذَة! هذا سِحْر!»

خَبَّأ موغلي الجلدَ وجمعَ القطيعَ وعادَ إلى القرية. وحين وصلَ إلى البوّابة، أطلقَ بالديو النيرانَ من بُنْدُقيّته.

وراح الناسُ يصيحون: «اذهبْ من هنا أيها الذئب! اخْرُجْ!»

عرِفَ موغلي أنّ عشيرةَ البَشَرِ لن تقبلَ به بَعْدَ الآن. فانصرفَ مع أكيلا والأخِ غراي خائبَ الظَّنّ. ذهبَ عند أُمِّه وعَرَضَ أمامَها جِلْدَ النَّمِرِ ففَرِحَتْ بِكُلِّ فَخْر.

ثُمَّ توجّهوا جَميعًا إلى مجلسِ الصَّخْرَةِ حيثُ عُلّقَ الجِلْد. جلسَ أكيلا عليه وهَتَفَ: «انْظُروا جيّداً أيها الذئابُ! انظروا جيّدًا!»

تجمَّعتِ الذئابُ هُناكَ وشاهدتْ ما حَدَثَ مع شيرخان. وراح موغلي يَرْقُصُ ويُغَنّي حتّى انقَطَعتْ أنفاسُه.

«لقد احترمْتُ كَلِمَتي، أليسَ كذلك؟» سأل موغلي.

أجابتْهُ الذئابُ: «نعم.»

فتابعَ قائلاً: «من الآن فصاعِدًا، سأصطادُ وَحْدي. أيُّها الرجالُ والذئاب، اتركوني!»

«سنَصْطادُ معَك،» قالَ إخوتُه الذئابُ الأربعةُ معًا.

منذ ذلكَ الحين، عاشَ موغلي مع الجِراءِ الأرْبَعَةِ وصارَ يصطادُ مَعَها إلى أن تَقَدَّم في السِّنِّ وأصبحَ رجلاً كبيرًا.

قصّة الفُقمة البيضاء

أخبرَني ليمرشان، ملكُ مِنْطَقَةِ «سان بول»، هذه القِصَّةَ.

يقعُ شاطئ نوفاستوشناه في جزيرةِ سان بول في بَحْرِ بيرنغ. وكانتْ تعيشُ هناك خِلال فَصْلِ الربيعِ مَجْموعةٌ من الفُقْمات، بينها 'سيكاتش'. عُمْرُ «سيكاتش» كان خمسَ عَشْرَةَ سنةً، جسمُه ضخم ووزنُه كبير. وعندما حانَ وقتُ وضْعِ البَيْضِ، راحَتْ آلافُ الفُقْماتِ تصيحُ وتتعارك وتصرخُ من أجل الحصول على فُسحةٍ لرعايةِ الصِّغار. وكان العازبونَ يتهافتون أيضًا إلى الشاطئ. تَصِلُ الفُقْماتُ الذكورُ أولًا، ثمّ تلحقُها الإناث في شهرِ أيّارِ/مايو.

بعدَ أن خاض خمسًا وأربعين معركة، أخذَ سيكاتش زَوْجَتَهُ ماتكا مباشرةً إلى المكانِ الذي حَجَزه. شكرتْهُ ماتكا على مَكانِ حَضْنِ الصِّغار.

«لم يكُنِ الأمرُ سَهْلاً يا ماتكا! انظُري إلى الموْج! قال سيكاتش.

«ربّما تكونُ جزيرةُ أوتر أفْضَلَ، يا عزيزي،» أجابتْ ماتكا.

«كَلاّ، وَحْدَهُمُ العازبون يذهبون إلى هناك»، ردّ سيكاتش.

في هذا المكان، وُلِد كوتيك، صغيرُ ماتكا. وكان مُخْتَلِفًا عن باقي الفُقْمات. فهو أبيضُ اللون! وكانتْ ماتكا تُغَنّي له. وكان الصغارُ كُلُّهُمْ يَسْبَحون ويمرحون وينامون معًا. كانوا يقضون وقتًا جميلًا ورائعًا.

في شهرِ تشرين الأوّل/أكتوبر، حانَ وقتُ العَودةِ إلى المياهِ العَميقة.

عَلَّمَتْ ماتكا كوتيك النومَ على ظَهْرِهِ في عُمْقِ البحر. وفيما كانوا يَسبَحون، راح «سيبغ»، الذكرُ الحكيمُ، يُخْبرهم عن العواصِف والتياراتِ والمواقعِ الجُغرافيةِ ويُعلِّمُهم بعضَ الدروسِ الهامة للصُّمود. كان كوتيك يتعلَّمُ بسُرْعةٍ ويَتميَّزُ بِقُدُراته على القَفْزِ والصَّيْد.

في أحدِ أيّامِ الربيعِ الجميلةِ، رَغِبَ كوتيك في العودةِ إلى نوفاستوشناه. توجَّهَ شَمالاً والْتَقى أصدقاءَ عديدينَ قاصِدينَ الوُجْهَةَ عَيْنَها. وحين وصلوا إلى نوفاستوشناه، اقتربَ رجلانِ منهم، أحدُهُمْ قائدُ صيّادي الفُقْمات والآخرُ ابنُه. وكانا يقودانِ مئاتِ الفُقْماتِ إلى مَوْقِعِ القَتْل.

نظر الرجُلانِ إلى الفُقْمةِ البيضاءِ ثمّ قال الرجلُ العجوزُ: «لا تلْمسْها لم أر مِثْلها منذ سنواتٍ طويلة.»

تساءل كوتيك إلى أين يأخذانِ الفُقْمات كُلَّها، فقرّر أن يَتْبعَهُما. وكم تفاجأ حين رأى رجالًا يقتلون الفُقْمات بعُنْفٍ ويُمَزِّقون جلودها. عندئذٍ اسْتدار وعاد أدراجَهُ بأقصى سُرْعة.

أخبر أسد البحرِ ما حدث معه وسأله: «هذا فظيعٌ! إنّهم يقتلُون الفُقْماتِ كُلَّها. أما مِن مكانٍ آمنٍ لنا؟»

رُبَّما إذا وَجَدْتُمْ جزيرةً لا يَقْصِدُها الإنسان، وإلاّ فَلَنْ يتوقَّفوا عن قتلِكم. يَجْدُر بكَ أن تستشيرَ «سيفيتش» في جزيرةِ والروس. وعندما فعلَ، طَلَبَ منه سيفيتش، الحوتُ الكبيرُ والبشعُ، أن يتحدَّث إلى بَقَرَةِ البَحْرِ، سيكاو.

في الخريفِ، انطلَق كوتيك بَحْثًا عن سيكاو، وهو مُصَمِّمٌ على العُثورِ على ملاذٍ آمنٍ لِلْفُقْمات. اسْتكشف شَمال المحيطِ الهادئ، ثمّ جنوبَه، ونجا بالكادِ من أسماكِ القِرْشِ. ولكن لم يلتقِ ببقرةِ البحرِ ولم يجدِ الجزيرةَ المُناسبة. وأعلمَتْهُ فُقْمَةٌ عجوزٌ أنّ الإنسانَ قَضى على الفُقْماتِ في معظم الجُزُر. فقرّرَ كوتيك، وقد تملَّكَهُ الحُزْنُ، أن يعودَ إلى نوفاستوشناه، سواءٌ عاشَ أو ماتَ هُناك.

غيرَ أنّ الفقمةَ العجوزَ أضافتْ قائلةً: «حاولْ مرّةً جديدةً. مُنْذُ زمنٍ طويلٍ، أتَتْ فُقْمَة بيضاءُ من الشَّمالِ إلى الشّواطئ. وقادَتْ شَعْبَ الفُقْماتِ إلى مكانٍ آمن. أنا مُتقدّمَةٌ في السّنِّ ولن أعيشَ كي أشهدَ هذا اليومَ، ولكنّ الآخرين سيرَوْنَ. حاولْ مرّةً أُخرى.»

فرح كوتيكَ وقال: «أنا الفُقْمَةُ البيضاءُ الوحيدةُ التي وُلِدَتْ على الشواطئ. وما مِنْ أحدٍ غيري، أبيضَ أو أسودَ، فكّر بالبحثِ عن جُزُرٍ جديدة.»

إذا، قرّر كوتيكُ البَحْث خلال فصْلٍ آخر. أخبرَ أُمَّهُ وانْطلق. توجَّهَ غرْبًا وكان يأكُلُ جيّدًا. التقى بكائناتٍ لم يَرَها من قبل، طولُها عِشْرون أو ثلاثون قدَمًا، وذيلُها بشكلِ مِجْرفَةٍ وشفتُها العُليا مؤلّفةٌ من جزأيْنِ تأكلُ بهما. وكان مَنظرُها قبيحًا. بعد بُرْهَة، عرفَ أنّ هذه الكائنات هي بقرُ البَحْر. حاولَ أن يُكلّمها ولكنّها اكتفتْ بالانْحِناءِ والتحرّكِ ببُطْء. لم تَكُنْ قادرةً على الكلام. فتبِعها كوتيكُ خائبًا.

غاصَتْ في نَفَقٍ وسبَحَ معها كوتيكُ في الظُّلْمَة. وفيما كانَ يَتوقُ إلى الهواءِ النقيّ، وصلَ على حينِ غِرَّةٍ إلى أجملِ شاطئٍ زاره في حياته. عندما نظرَ إلى الماء، عرفَ فورًا أنّ ما من إنسانٍ حطَّ رِجْلَهُ هُناك يومًا.

راقبَ كوتيكُ الشاطئَ بدقّةٍ وسبحَ عائدًا. وحين أخبرَ بقيّةَ الفُقْمات عن ذلك المكان الآمنِ، ضَحِكتْ جميعُها وتحدَّتْهُ في القِتال، فإذا ربح ، توافقُ الفُقْماتُ على مَشْروعه. وكان كوتيكُ في عِزِّ شبابه، يُقاوِم بجنونٍ. فقاتلَ طويلاً إلى أن لم تبقَ فُقمةٌ تَجْرُؤُ على مُواجَهتِه.

بعد أسبوعٍ، سَبَحَتْ حوالي عشرةِ آلافِ فُقْمةٍ غَرْباءَ مع كوتيك إلى نفقِ بقرِ البَحْر. وفي الربيع التالي، وصلت أخبارٌ رائعة إلى بقيّة فُقماتِ نوفاستوشناه، فانْضَمَّتْ إليها فُقْمات أخرى.

ومنذ ذلك الحين، صارَ كوتيكُ يجلِسُ على الشّاطئ الهادئ، وهو يكبُرُ ويزدادُ قُوَّةً ووزْنًا. وكانتْ تَلْحقُه فُقْماتٌ أخرى تَلْعبُ في البَحْرِ وعلى الشّاطئ الذي لَمْ تطأه قَدَمُ إنسان.

ريكي-تيكي-تافي

ريكي-تيكي-تافي هو نِمْسٌ بِعَيْنَيْنِ بِلَوْنِ الزَّهْرِ. رأسُ أنْفِهِ زَهْرِيٌّ أيضًا وذيلُه كثيف.
أمّا صَرْختُه للحربِ فهي «ريك-تيك-تيكي-تيكي-تشك».

أنقذَتْهُ عائلةٌ إنكليزيّةٌ من فَيَضانٍ في الصَّيفِ واعْتَنَت به. وكان ينامُ في الليلِ إلى جانبِ الابن تيدي، ممّا أزعَجَ والدةَ تيدي كثيرًا. ولكنَّ زوجَها كان يُردِّدُ لها قائلًا: «لا تقلقي! نحنُ في أمانٍ الآن إذا أتَتْ حيّةٌ إلى المَكان!»

في الصَّباح، اسْتَكشف ريكي-تيكي حديقة المنزل. والتقى هُناك بدارزي، الطائرِ الخيّاط، وكانتْ زوجةُ دارزي تبكي لأنّ الثُّعبانَ «ناغ» التهمَ صَغيرَها.

سألَ ريكي-تيكي: «ومن هو ناغ؟»

وما إن طَرحَ هذا السؤالَ حتّى سَمِعَ هسيسًا ورأى أفعى كوبرا سوداء بطول خَمْسَةِ أقدام، تنتصبُ أمامه وتقول: «أنا ناغ!»

حَدَّق ناغُ النظرَ في ريكي-تيكي الذي لم يُشاهِدْ كوبرا في حياتِه ولكنْ سَبَق أن افترسَ أفاعيَ كوبرا ميتةً من قبل. فلم يَشْعُرْ بالخوف. استَجْمَعَ قِواهُ بسرعةٍ وهو يعرفُ أنّ النِّمْسَ يَعيشُ ليأكل الأفاعي. وكان ناغ يعي ذلك فارتعش خوفًا.

فجأةً، هَتَف الطائرُ الخيّاط: «انتبهْ وراءك!». وَثَبَ ريكي-تيكي فيما كانتْ ناغانا، زوجةُ ناغ، على وَشْكِ لدْغِه. ولكنّ ريكي-تيكي عَضَّها وقلبَها ورفَسَها. ثمّ هربَ ناغُ وناغانا. ولم يقدرْ ريكي-تيكي على اللّحاقِ بهما فعادَ إلى المنزلِ يفكّرُ بما حَدَثَ.

رآه تيدي فانْحَنى يُرَبِّتُ عليهِ بلُطْف. في هذِهِ اللحظةِ، تحرّكَ شيءٌ تحْتَ الغُبار، وما هو إلاّ ثعبانٌ سامٌّ على وَشْكِ الانْقِضاضِ على تيدي. قَفَزَ ريكي-تيكي على الثُّعبانِ وعضَّهُ فَقَتَلَهُ. عندئذٍ، أخذتْ أمُّ تيدي النِّمْسَ الذي أنقذَ ابْنَها بين ذراعَيْها.

حين حلَّ المساءُ، جالَ ريكي-تيكي حَوْلَ المنزلِ. ورأى فَأْرًا رجاه ألاّ يَقْتُلَهُ، فقالَ له ريكي:

«أنا أقتلُ الأفاعي وليس الفِئْران!»

فنَصَحَه الفَأْر: «ناغُ في كُلِّ مكانٍ. انْتَبِهْ!»

في سُكونِ الليل، سَمِعَ ريكي–تيكي صوتَ احتكاكِ حَراشِفَ بالحَجَر. فقالَ له الفأرُ إنّ ناغ أو ناغانا يتوجَّهُ إلى الحَمَّاماتِ لِيَلْتَهِمَ الفِئْران. أسرَعَ ريكي–تيكي إلى هُناك لِيَستكشِفَ الأمر. كان ناغ وناغانا يَتهامَسانِ في حَمّامِ والدةِ تيدي.

«حينَ يَفْرُغُ المَنْزِلُ، سيذهَبُ هو أيْضًا. وتُصبحُ الحديقةُ لنا ويَفْقِسُ البيضُ في أمان. الْدَغِ الرَّجُلَ الكبيرَ أوّلا، ثمّ نُلاحِقُ ريكي–تيكي،» قالت ناغانا.

«سأقتلُ الرجلَ والمرأةَ والولدَ. عِنْدَها سيَذْهَبُ ريكي–تيكي لِوَحْدِه،» أجابَ ناغ.

التفَّ ناغُ حولَ جرّةِ الماءِ التي تُستعملُ لمَلْءِ حَوْضِ الاسْتِحْمامِ فيما زَحَفَت ناغانا بعيدًا. راح ريكي–تيكي يُفكّرُ بطريقةٍ لمواجهةِ ناغ.

«كانَ يجدُرُ بي أن أعَضَّهُ في رأسِه ولا أتركَهُ يذهبُ،» قال ريكي في نفسِه.

ثمّ قَفزَ ريكي على رأسِ ناغ وأخذ يتعارك معه بعُنْفٍ في الصالةِ كُلِّها. احْمَرَّتْ عيناهُ وشدَّ فكّيْهِ أكثرَ فأكثر. فجأةً، شعَرَ بِلهبٍ ناريٍّ وقذفه بعيدًا. كانَ الرجل الكبير واقفًا، يحمِلُ مسدّسًا في يده. لقد ماتَ ناغ.

«أنْقَذَنا النِّمْسُ الصَّغيرُ مَرّةً أُخرى، يا أليس،» قالَ والدُ تيدي.

تَوَجَّهَ ريكي–تيكي إلى غُرفةِ تيدي، ثُمّ لَعِقَ نَفْسَهُ ونام.

في الصباحِ الباكرِ، استيقظ مُتْعبًا ولكنْ مسْرورًا. وقال: «اليومَ، سأهتمُّ بأمرِ ناغانا.»

كان الطائرُ الخيّاطُ يغرّدُ أغنيةَ الانْتِصار: لَقد انتشرَ خبرُ مَقْتَلِ ناغ. سأله ريكي–تيكي عن ناغانا. فعلِمَ أنّها تبْكي زَوْجَها بالقُرْبِ من النفايات حيثُ تمَّ رَمْيُهُ.

وكانتْ بُيُوضُها في بُسْتانِ البِطّيخ.

طارَتْ زوجةُ الطائرِ الخيّاطِ لِتَصْرِفَ انْتِباهَ ناغانا بِناءً على طَلَبِ ريكي–تيكي. وذهبَ ريكي–تيكي إلى البُسْتانِ وكَسَّرَ كُلَّ البُيُوضِ إلا واحدة. في هذه اللحظةِ، هَتَفَ العصفور: «ريكي–تيكي، لقد عادَتْ ناغانا إلى البَيْت!»

أسْرَعَ ريكي–تيكي إلى البَيْتِ مُبْقِيًا البَيْضَةَ الأخيرةَ في فَمِه. وكانَ والدا تيدي جالِسَيْنِ إلى المائِدةِ يَتَناولانِ الفُطورَ ووَجْهاهُما شاحِبان. زَحَفَتْ ناغانا حَوْلَ قدمِ تيدي. تَحَدّاها ريكي–تيكي قائلاً: «اسْتَديري وتَعالَيْ قاتِليني يا ناغانا! تحقَّقي أيضًا من بُيوضِكِ في البُسْتان.»

اِلْتَفَتَتْ ناغانا ورَأَتِ البيضَةَ التي يَحْمِلُها ريكي–تيكي. فَصَرَخت: «أعْطِني إيّاها!»

«ماذا تَدْفَعين مُقابِلَ البيضةِ الأخيرة؟» سأل ريكي.

استدارَتْ ناغانا وهُرِعَت نحو البَيْضَة. في هذا الوقتِ، أبْعَدَ والدُ تيدي ابْنَهُ وذهبَ لِيَجْلِبَ بُندقيّته.

انقضَّ ريكي–تيكي على ناغانا: «تعالَيْ اهزميني! لقد ذهَبَ الرجلُ ليأتيَ بمُسَدَّسِه. لكنّي واجَهْتُ ناغ وقتلتُه قبلَ أن يَفْعَلَ الرَّجُل.»

«أعطِني البيضة فأخرُجَ مِن هُنا!» صرخت ناغانا.

راحَ ريكي–تيكي يَقْفِزُ في كُلِّ الجوانبِ مُتَفادِيًا هَجَماتِ ناغانا. في هذا الوقتِ، نَسِيَ قضيّةَ البَيْضَةِ فاغْتَنَمَتْ ناغانا الفُرْصَةَ وأخَذَتِ البيضةَ قَبْلَ أن تَنْسَحِبَ بِسُرْعَةٍ إلى الحديقةِ عَبْرَ الشُّرْفَة.

أَخَّرَتْها زوجةُ الطائرِ الخَيّاطِ وهي تَضْرِبُها بجَناحَيْها. اِلْتَقَطَ ريكي–تيكي ذَيْلَ الأفْعى التي انزلقتْ خُلْسَةً في حُفْرَةٍ فدخلَ مَعَها. لم يَعُدِ العُشْبُ يَتَحَرَّكُ. ظنَّ الطائرُ أنّ ريكي–تيكي قد ماتَ فبدأ يُغَرِّدُ لَحْنًا حَزينًا. لكنّ العُشْبَ تَحَرَّكَ مَرَّةً جديدةً وخَرَجَ النِّمْسُ من الجُحْر.

«ماتَتْ ناغانا،» قالَ ريكي–تيكي قَبْلَ أن يَتَمَدَّدَ على العُشْبِ الأخْضَرِ، غَفا مِنْ شِدَّةِ التَّعَب. بعدَ الظُّهرِ، رجعَ إلى المنزلِ حيثُ هُرِعَتْ إليهِ والدةُ تيدي. أَطْعَمَتْهُ ودَلَّلَتْهُ كثيرًا. ثُمَّ نامَ ريكي إلى جانبِ تيدي. في ما بعد، جاءَتْ والدةُ تيدي إلى الغُرْفَةِ وراحتْ تَنظُرُ إليه.

«تخيَّلْ، لقد أنقَذَ حياتنا!» قالَتْ بِتَعَجُّب.

استيقظَ ريكي–تيكي، فنَوْمُ النِّمْسِ خَفيف، وأجابَها: «لا تَخافي! اختفَتِ الأفاعي. وإذا لم تَمُتْ كُلُّها، فأنا باقٍ هنا!»

اِعْتَنى ريكي–تيكي جيّدًا بالحديقةِ وكانَ نِمْسًا نَشيطًا لا تجرؤُ أيُّ أفْعًى على مُواجَهَتِه.

كالاناغ وتوماي الصغير

عَمِلَ الفيلُ كالاناغ لدى الحكومةِ الهِنْدِيّة مُدَّةَ سَبْعٍ وأربعين سَنَة. وكانَ طولُه عشْرة أقدام وعلى رأسِه نابانِ مزيّنان بالنُحاس يبلغُ طولُ كُلٍّ منهما خمْسة أقدام. كان الفيلَ الأكثَرَ شعبيّة ودلالًا لدى الحكومة. فقد شارك في حُروبٍ عديدةٍ وفي حَمْلِ الأخشاب. تعاملَ في أحد الأيّام بعُنْفٍ مع فيلٍ صغيرٍ هاربٍ من العَمَل فتمَّ إرسالُه إلى جبالِ غارو. وهناك، كان يُدرّبُ ويُتابعُ الفِيَلَةَ الوحشيّةَ الضروريّةَ لعملِ الحُكومة. وكان قد قَتَل مرّةً نمِرًا!

وكان سائسُ الفيل، الفيّال، يؤكد لابنه توماي الصغيرِ قائلاً: «كالاناغ لا يخافُ أحدًا سواي.»

«إنّه يخافُ منّي أيضًا!» رَدَّ توماي الصغير.

وهذا صحيحٌ. فقد وُلِدَ توماي الصغيرُ في حِمايةِ كالاناغ. وكان يهتمُّ به في غِياب والدِهِ. فصار كالاناغ يُطيعه.

وبينما كان توماي يتوقُ إلى إسْطبلات الفِيَلةِ المُسنَّةِ، المُسَيَّجةِ بحجارةِ الآجُرِّ، كان توماي الصَّغيرُ يُحِبُّ مُخيّماتِ الأدغال. وكان يُحبُّ الخروجَ إلى الأدغالِ مع كالاناغ. وحين يَتِمُّ جَلْبُ الفِيَلةِ البَرِّيَّةِ إلى الحظيرة المُسيّجة للتدريب، يتسلَّقُ توماي الصَّغيرُ مِنَصَّةَ ويُعْطي توجيهاتٍ إلى كالاناغ. وفي إحدى المرّاتِ تغلغلَ بين الفِيَلةِ لِيَرْمِيَ حَبْلاً إلى سائسِ الفِيَلةِ لكي يقبضَ على فيلٍ صغير. التقطَهُ كالاناغ وأعطاهُ إلى أبيه الذي صَفَعَهُ ووَبَّخَه.

وصلَ هذا النَّبَأُ إلى آذانِ 'بيترسون ساهب' الذي طلَب رُؤْيَةَ توماي الصَّغيرِ ليدفعَ له. وكان بيترسون ساهب قائدَ العَمَليّات. وهو الرجلُ الذي يجمعُ كُلَّ الفيلةِ للحكومةِ الهِنْديّة والأكثرُ عِلْمًا بسُلوكِ الفيلة. انحنى توماي الصغيرُ أمامه. تفاجأ ساهب برؤيتِه بسبب عُمرِه وطوله. سأل عن اسمه وقدّمَ له هديّةً مُقابلَ شَجاعتِه. إلّا أنّه طلبَ منه البقاءَ بعيدًا عن الحظيرة في المُسْتَقْبل. وأضافَ أنّه يُمْكِنُ لتوماي الصغيرِ الاقترابُ من السِّياج

بعد مشاهدةِ الفيلة ترقص. وكانت تلك دُعابة قديمة يتناقلُها صيّادو الفيلة. لم يرَ أحدٌ يومًا فيلًا يَرْقُصُ. وتعودُ هذه الأسطورةُ في الأدغالِ إلى أشجارٍ كبيرةٍ مُتَلاصِقَةٍ تسمّى «صالات رَقْصِ الفيلة».

ذاتَ يوم، رافقَ توماي مُبتهجًا كالاناغ وأباه الذي كان يقودُ الفِيَلَةَ عَبْرَ السُّهول. وكان هناك رجلٌ في الأمامِ يُواجِهُ مشاكلَ مع فِيَلَتِه. تساءلَ إن كانتْ شَمَّتْ رائحةَ إخوتِها في الهِضَاب. فقد كانتِ الفِيلَةُ تعتزمُ الرقصَ وبالتالي يجبُ تدعيمُ سِياجِ الحظيرة وإقفاله في الليل.

جالَ توماي الصغيرُ فَرِحًا أمامَ الفِيَلَةِ، وراح يَدُقُّ على الطَّبْلِ إلى أن غَفَتِ الحيوانات. وَحْدَهُ كالاناغ بقِيَ واعيًا، يسمَعُ بأُذنَيْهِ الكبيرتَيْن. سُمع من بعيد صوتُ فيلٍ بَرِّي. استيقظتِ الفيلة فجأةً وكأنّها تلقّتْ طَلَقات ناريّة.

أيقظتِ الأصواتُ ساسةَ الفيلةِ الذين راحوا يربطون الحيوانات. وتمَّ عَقْدُ حبلٍ مِنَ العُشْبِ

حولَ ساقِ كالاناغ الذي لم يتوقّفْ عن النَّظرِ إلى جِبالِ غارو.

«انْتَبِهْ لَهُ،» قالَ توماي الكبيرُ إلى توماي الصغير قَبْلَ أن ينامَ. وكان توماي الصَّغيرُ يصارِعُ النومَ حين سَمِعَ تَقَطُّع حَبْلِ العُشْبِ ورأى كالاناغ يَهْرُب. ركضَ توماي الصغيرُ وراءَهُ وهو يُناديه، فالتقطه الفيلُ ودخلَ بسرعةٍ إلى الغابة. تَبِعَ طريقًا عند حافةِ الجَبَل، ثمّ نزل مُقْتلعًا النباتاتِ في طريقِه، وسُرْعانَ ما وَصَلا إلى الوادي عابرين النهر. وكان توماي الصغيرُ يُمَيِّزُ أشكالًا في الضَّبابِ ويسمعُ أبواقًا وشَخيرًا وهَمْهَمات.

وكم كانتْ دَهْشَتُهُ حين رأى فِيَلَةً عديدةً هناك. لَمْ يَعُدْ حتّى قادرًا على إحصائها نظرًا إلى عَدَدِها الكبير. وكان فيلُ بيترسون ساهب موجودًا هناك أيضًا. تنقّلَ كالاناغ

تحت الأشجارِ وهو يُقبْقِبُ ويُغرْغِر، والفيلةُ تُجيبُه.

ثُمَّ جَأْرَ فيلٌ وضَربَتْ بقيّةُ الفِيلةِ بسيقانِها الأرضَ بانتظامٍ كضرباتِ الطَّبْل. ضَرْبَةٌ قويّةٌ وضرباتٌ مُتتاليةٌ ثم ضَرْبةٌ! صارَتِ الفيلةُ تتقدَّمُ مُتجاوِزةً الأشجارَ وضاربةً الأرض. طالَ هذا المشهدُ. أغلقَ توماي الصغيرُ عَيْنَيْه، فقد أزْعجَتْهُ الضَّجَّةُ والضَّرَبات.

أشرقَتِ الشمسُ وتوقَّفتِ الضربات. فتح توماي الصغيرُ عَيْنَيْهِ فلمْ يرَ سوى بودميني وكالاناغ وفيلاً آخر. وتَبيَّنَ أن الفُسْحَة المكْشوفةَ قد اتّسعَتْ وهُرِستْ نَباتاتُها.

أمَرَ توماي الصغيرُ كالاناغ بالعودةِ إلى المُخيَّم. بعد ساعتَيْن، كان بيترسون ساهب يتناولُ الفُطور. فرأى بودميني مُغَطّى بالوَحْلِ وتوماي الصغيرَ يَتَرَنَّح من التعب على ظَهْرِ كالاناغ وهم يدخلون القرية.

«رأيْتُ الفيلةَ ترقُص!» صرخَ توماي الصغيرُ مُحاولًا إلقاءَ التَّحيّةِ على بيترسون ساهب، ولكنه أُغمي عليه. استعادَ وَعْيَهُ بعد ساعَتَيْنِ وأخبرَ قِصَّتَهُ إلى الناس. في هذا الوقتِ، رأى بيترسون ساهب الأعشابَ المُقتلَعَة وعَرَفَ أنّ توماي يقولُ الحقيقة. ولذلك عاد وأقامَ حَفْلَةً على شرَفِه.

حينَ رجعَ توماي الكبيرُ لِيرَى ابنَه، رأى التحضيراتِ الجاريةَ للوليمة. لقد أصبحَ ابنه بَطلًا! ومنذُ ذلك الحين صار يُعرف باسم «توماي الفيلة». أمّا تتويجُ احتفالِ المجْدِ فكانَ مع الفِيلَة التي تجمَّعَتْ وأطلقَتْ نَهيمًا معًا وحيَّتْ توماي الصغير – الولدَ الذي رأى الفِيَلة ترقُصُ في جبال غارو.

حيوانات المخيّم

كان المطرُ يَنْهَمِرُ بغزارة. اجتمعَ حوالي ثلاثين ألفَ رَجُلٍ وجَمَلٍ وحِصانٍ وفيلٍ وثَوْرٍ وحِمارٍ في روالبندي من أجْلِ اسْتِعْراضٍ أخير سَيَجري أمامَ نائبِ الملكِ وضَيْفِه، أميرِ أفغانستان. وقد أتى الأميرُ ومعه ثمانمئةِ رَجُلٍ مع أحْصِنَتِهم التي لم تَعْتَدْ أبدًا العيشَ في المُخَيَّم. وكانتْ تركُضُ حولَ المُخَيَّم وتدوسُ الخِيَمَ فتوقعُها مُحْدِثةً خرابًا كبيرًا ومُسبِّبةً الإزعاجَ للحيوانات.

ذاتَ يوم، أسرعَ جَمَلٌ إلى خَيْمتي. خرجتُ راكضًا مع كَلْبي فوكس قَبْلَ أن تقعَ خيمتي. وسُرْعانَ ما وجدتُ نَفْسي بعيدًا عن المُخَيَّم. وجدتُ مَكانًا آخرَ أرتاحُ فيه. تمدَّدْتُ لأنامَ وسمعْتُ حمارًا وجَملاً يتحادثان. ولحُسْنِ الحَظِّ أنّني أُتْقِنُ لُغةَ حيواناتِ المخيّم – بفضلِ السُّكّانِ الأَصْليّين – وَأَفْهَمُ ما يقولانه.

«تَحَرَّكْ شيءٌ أبيضُ وضَرَبَني على رَأْسي!» قال الجَمَلُ مُتَذَمِّرًا. (كان ذلك ساريةَ خَيْمَتي وقد أسْعَدَني ذلك!)

«أنت وأصدقاؤك أزعجْتُم المخيَّمَ كُلَّه. سَنُحَطِّم وجوهَكُمْ في هذا الصَّباح، أو الآن. خُذْ هذا!» وبِدون أيّ تأخير، رَفَس الحِمارُ الجملَ الذي تَأَوَّهَ ووَقَعَ في الوَحْل.

جاءَ أَيضًا حِصانٌ من الفِرْقَةِ وقالَ: «هذا مُشين. لقد تَخَطَّتْ هذه الجمالُ حُدودَها مرّةً أُخرى. إنّها المرّةُ الثالثةُ هذا الأسبوع. كيف يُمْكِنُ لحصانٍ أن يُحافِظَ على قِواهُ إن لم يَنَمْ جيّدًا؟ مَنْ هذا؟»

«أنا الحمار المكلّف بإسناد المدفع رقم اثنين في الفرقة الأولى.» أجاب الحمار، «وأَنْتَ»؟

«أنا حِصانُ ديك كونليف، الرامي التاسع، الفِرْقة هاء، رقم خمسة عشر. إنّها المرّةُ الثالثةُ التي تَفْقِدون فيها أَعْصابَكُمْ أيها الجمال،» قال حصانُ الفِرْقة.

«نحن لا نملِكُ شَجاعَتَكُمْ. نحن نَنْتمي إلى الموكبِ التاسع والثلاثين للمُشاةِ. ما هذه الضَّجّة؟» سألَ الجَمَل.

عَمَّ الضجيجُ المكان. حاولَ الحمارُ أن يُصْغيَ. «لقد أيقظتُمُ الثيرانَ. لقد استيقظَ المُخَيَّمُ كُلُّه الآن!»

وصلَ ثَوْران أبيضانِ، يتبعُهُما حمارٌ صغيرٌ يُنادي "بيلي".

«هذا أنا،» قالَ الحمارُ.

اجْتَمَعَ الثَوْران وراحا يَجْتَرّانِ واخْتَبأَ الحِمارُ الصَّغيرُ وراءَ بيلي.

صرَخَ الحِمارُ: «بيلي! أنا خائفٌ.»

«أوَدُّ أن أَرْفُسَك رَفْسَةً لا مَثيلَ لها!» هَتَفَ بيلي.

«قُلْنا له أن لا مدعاةَ لِلخَوْف،» أجابَ الثور.

سمعتُ صريفَ أسنانِ الحمارِ الصغيرِ وهو يُتَمْتِمُ أنّه ليس خائفًا من أي ثَوْرٍ عجوزٍ مُكْتَنِزْ.

«لا تَغْضَبِ الآنَ بعد أنْ خِفْتَ. هذا أسوأُ شَكْلٍ من أشكالِ الجُبْنِ،» قالَ الحِصان. «أعتقدُ أنَّ أيَّ شخصٍ مسموحٌ له أن يخافَ في الليلِ، خُصوصًا إذا رأى أمورًا لا يَفْهَمُها.»

«هذا مقبولٌ في المخيّم، ولكن ماذا تَفعلُ خِلالَ الخِدْمَة؟» سألَ بيلي حصانَ الفِرْقة.

«هناك، يركبُ سيّدي على ظَهْري وأنْتَبِهُ إلى خُطواتي. وإن لَزِمَ الأَمْرُ، أقِفُ شامخًا،» ردّ الحصان.

«وما هذا؟» سألَ بيلي.

«إنّه الوقوفُ والاستدارةُ على السّاقَيْنِ الخَلْفِيَّتَيْن،» قالَ الحِصان.

«لا يُعطينا أيٌّ مِن هذا رَغْبَةً في الوقوف. إنّه إطلاقُ نارٍ في الهواءِ ويَتَوَجَّبُ علينا الصمودُ على مُنْحَدَرٍ حادٍّ وضيّق. من بعدِها يأمرُنا سيّدُنا بالحِراك. ثمّ نَرى القذائفَ تتساقطُ. أنا أقودُ المجموعةَ ولا أَظْهَرُ أبدًا فوق خَطِّ الأُفُق،» قالَ بيلي.

«أنت تُجازِفُ، قد تتعرّضُ إلى إطلاقِ نار!» هَتَفَ حصانُ الفِرْقة. «هذا خَطِرٌ!»

«لقد حاربتُ أيضًا،» قالَ الجملُ مُحاولًا لَفْظَ كلمةٍ منذُ وقتٍ طويل.

«أَخْبِرْنا يا كُتْلَةَ التِّبْنِ،» قالَ بيلي.

فرَوى الجملُ قِصَّتَه.

«هُناكَ طريقةٌ واحدةٌ لِلْقتال،» قالت الثيران وأضافت إنه بمجرد سماعها 'صاحب الذيلين' ينفخ في البوق، فإن عشرين منها سوف تصيحُ دفعة واحدة.

«لماذا ينفخ 'صاحبُ الذيْلَين' في البوقِ؟» سألَ الحمارُ الصغير.

«ليقولَ إنّه لن يقتربَ بعد الآنِ من الدُّخانِ في الجانبِ الآخر. إنّ 'صاحب الذيلين' جَبانٌ كبير،» قالت الثيران بهزءٍ.

ودار حديثٌ شَيِّقٌ حولَ أفضلِ استراتيجيّةٍ قتاليّةٍ وأذكى حيوان. وبدأ حصانُ الفِرْقَةِ وبيلي يتبادلان الشتائم.

أمَرَهُما 'صاحب الذيلين' بالتوقّفِ بعدما طالَتْهُ الإهاناتُ مرّاتٍ عدّة.

«نحْنُ آسِفان لأنّك سمِعْتَ. ولكن لماذا تخافُ من المدافعِ حين تنطلقُ؟» سألت الثيران والجَمَلُ.

«يُمْكِنُني أن أرى ماذا يحدُثُ حين تَنْفَجِرُ قذيفةٌ، أمّا الثيرانُ فلا. أنا أعرِفُ كفايةً لأفهَمَ ولئلا أُكْمِلَ على الرَّغْمِ منْ كُلِّ شيء. أنتم تجهلون ما هو الدّم،» أجابَ 'صاحب الذيلين'.

«بلى، نعرِفُ. إنّه هذا السائلُ الأحمرُ الذي يَسْقي الأرضَ وله رائِحة،» قال الثوران.

«هذا يُثيرُ اشمئزازي ويَدفَعُني إلى الهُروبِ حين لا يكونُ ديك يَمْتَطيني!» قالَ حصانُ الفِرْقة.

«لا أريدُ أن أتكلّمَ عن هذا الموضوع،» أردَفَ بيلي.

«كان يَجْدُرُ بي أن أكونَ في الغابة، أستحمُّ طويلاً وأنام،» قال 'صاحب الذيلين' وصاحَ غاضِبًا. فجأةً، توقَّفَ حين سمعَ عُواء كَلْب.

إنّها كَلْبتي فيكسن. لقد عَثَرَتْ عليّ. تخافُ الفِيلَةُ مِنَ الكِلابِ وقد اغتَنَمَتْ فيكسن الفُرصةَ لِتُبعِدَ صاحبَ الذيلين. صفَّرتُ وجاءَتْ فيكسن إليّ.

وسألَ الحمارُ الصغيرُ عِنْدَئذٍ: «لماذا يتوجَّبُ علينا أن نُقاتِل؟»

«لأنّهمْ يَطلبون مِنّا ذلك،» أجابَ حِصانُ الفِرْقة.

«الأوامر!» هَتَفَ بيلي.

«ومَن يُصْدِرِ الأوامر؟» سألَ الجَمَل.

«الرجالُ. فالجميع يطيعون شخصًا ما. لقد أوشَكَ الصباحُ أن يطلعَ. فلنَعُدْ إلى خُطوطِنا!» قالت الثيران.

«ها أنا ذا!» قالت فيكسن. «وسيّدي هُنا أيضًا. إنّه غاضِبٌ جِدًّا!»

«هَلُمّوا!» صرختِ الحيواناتُ كُلُّها قبلَ أن تَخْتَفيَ.

بعد الظُّهْرِ، جرى الاستعراضُ ودُهِشَ الأمير. كانَ الحَفْلُ مُمْتازًا وجَميلًا. ولكن سُرْعان ما هَطَلَ المطرُ ولفّ الضبابُ المكان. شكّلتِ الفِرْقَةُ طابورًا طولُه ثلاثةُ أرباعِ الميلِ وهدرَ الطابور متوجّهًا نحو نائبِ الملكِ والأمير، فاهْتَزَّتِ الأرْضُ.

فَتَحَ الأمير عَيْنَيْهِ الكبيرتَيْنِ. وما إن استلَّ سيفَه حتّى وقَفتِ المجموعة. حَيَّتْهُ الفِرَقُ وبدأت الوحدات الثلاثون تعزف. وما لبثَ أن انتهى الاستعراض.

سمِعتُ صُدفَةً قائِدًا من آسيا الوسْطى يسأَلُ مَسؤولاً من السُّكانِ الأصليين: «كيف حدثَ ذلك؟»

«لقد أطاعو الأوامر،» أجابَ المسؤول.

«وهل الحيوانُ حكيمٌ مِثْل الإنسان؟» سألَ القائدُ مَذهولاً برُؤيةِ الحيواناتِ تُطيعُ تَمامًا الأوامر.

«الحيواناتُ تُطيعُ أَسْيادَها الذين يَنْصاعون أيضًا إلى أسيادِهم. وهؤلاءِ أيضًا يَتبعون بدورِهم مَشيئةَ نائبِ الملكِ الذي يُطيعُ الإمبراطورة،» أجابَ المسؤول.

«نحن في أفغانستان، نتبعُ فقط إرادتَنا،» أضافَ القائد.

«في هذه الحالِ، يتوجَّبُ على أميرِكم الذي لا تُطيعونه أن يأتِيَ ويأخُذَ أوامِرَ من نائب مَلِكِنا،» اقترَحَ المسؤولُ الأصيل.

كتاب الأدغال

... فجأةً، سُمِعَ ضجيجٌ صاخِبٌ في الأدغالِ الواقعةِ تحت الصَّخْرَةِ العاليةِ التي تقعُ فيها مغارةُ الذئب. نظرَ الذئبُ الأبُ إلى الأسفلِ فرأى أن شيرخانَ يُطاردُ جَرْوًا يُشْبِهُ الإنسان.

غضِبَ الذئبُ الأبُ كثيرًا لأنّ صَيْدَ إنسانٍ «ضعيف» يُعتبر خَرْقًا لقوانين الغابة، ولا يُسْمَحُ به إلاّ خارِجَ حُدودِ الغابةِ وفي حالاتٍ استثنائيّةٍ فقط. فَقَتْلُ إنسانٍ يُؤَدّي إلى مَوْتِ كُلِّ الحيواناتِ على يَدِ الصَّيّادينَ وبَنادِقهم. لِهَذا السَّبب، تُحَرِّمُ شريعةُ الغابِ الانْقِضاضَ على النّاس.

تَحَضَّرَ النَّمِرُ لصيدٍ جديدٍ ولكنّه حَرَقَ ساقَه بنارِ الحَطَبِ ...

صدر من هذه السلسلة:

- كنوز الملك سليمان
- رحلة إلى باطن الأرض
- عائلة روبنسون السويسريّة
- عشرون ألف فرسخ تحت الماء
- أوليفر تويست
- أحدب نوتردام
- أطفال سكّة الحديد
- الفرسان الثلاثة
- ديفيد كوبرفيلد
- الحديقة السريّة
- توم سوير
- كتاب الأدغال

ISBN: 978-9953-37-938-8

تم تصنيف هذه القصة وفق معايير «عربي 21» لتصنيف كتب أدب الأطفال العربي، وقد صنف مستوى «ص»، «متقن أدنى» السنة السابعة والثامنة

ص

أكاديميا